مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية
المجلد 149 (3): 93-127

Damascus university journal of Historical Studies
V 149 (3):93-127

أعمال تشارلز غوردون في السودان 1874. 1885

حلا مؤيد العلي[1]، عقيل لطف الله نمير[2]

[1]طالبة دكتوراه– قسم التاريخ اختصاص تاريخ حديث ومعاصر– جامعة دمشق

hala.ali@damascusuniversity.edu.sy

[2]أستاذ دكتور – قسم التاريخ اختصاص تاريخ حديث ومعاصر– جامعة دمشق

akil.nomeir @damascusuniversity.edu.sy

الملخص

إن هذا البحث يسعى لدراسة السودان في الحقبة التي تولى فيها غوردون مناصب إدارية في السودان لثلاثة مرات على التوالي من خلال التعرف شخصية غوردون باشا وحياته، ومن ثم التحدث عن فترة حكمه للمنطقة الإستوائية في الجنوب بين عامي 1874. 1876 ، والتعرف على أعماله في ميادين الكشوف الجغرافية والحد من تجارة الرقيق، يلي ذلك الحديث عن فترة حكمداريته لعموم لسودان، والتي استغرقت الفترة الممتدة من عام 1877 ،حتى العام 1880، وفيها استمر في مكافحة تجارة الرقيق، فضلاً عن مواجهته للحركات الإنفصالية، ومحاولته الاتفاق مع الحبشة حول قضية الحدود بين السودان والحبشة، ليختتم البحث بآخر عمل قام به غوردون في حياته ألا وهو عملية إخلاء السودان من المصريين والأجانب، وتركه لأهله.

الكلمات المفتاحية: تشارلز غوردون، السودان، مصر، إنكلترا، تجارة الرقيق

تاريخ الايداع: **2024/4/21**
تاريخ النشر: **2024/9/26**

حقوق النشر: جامعة دمشق –سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب **CC BY-NC-SA**

Charles Gordon's work in Sudan 1874-1885

Hala Moayad Al-Ali, Aqeel Lutfullah Nameer

PhD student at Damascus University, Department of History, specializing in modern and contemporary history

hala.ali@damascusuniversity.edu.sy

Prof. Damascus University, Department of History, specializing in modern and contemporary history

akil.nomeir @damascusuniversity.edu.sy

Abstract

This research seeks to study Sudan in the era in which Gordon held administrative positions in Sudan three times in a row by identifying the personality and life of Gordon Pasha, and then talking about his period of rule in the Equatoria region in the south between the years 1874-1876, and learning about his works in the fields of geographical exploration. And limiting the slave trade. This is followed by talk about the period of his rule over the whole of Sudan, which lasted from 1877 until 1880, during which he continued to combat the slave trade, in addition to his confrontation of separatist movements, and his attempt to reach an agreement with Abyssinia on the issue of the border between Sudan and Abyssinia. To conclude the research with the last work that Gordon carried out in his life, which was the process of evacuating Sudan from Egyptians and foreigners, and leaving it to its people.

Key Words:, Charles Gordon, Sudan, Egypt, England, The Slave Trade.

Received: **21/4/2024**
Accepted: **26/9/2024**

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a **CC BY- NC-SA**

المقدمة

لعب غوردون باشا دوراً كبيراً في تاريخ السودان، إذ عرف السودان حكم غوردون في ثلاث هيئات حاكمة، أولها عندما كان حكم غوردون متمركزاً في الجنوب إذ كان حاكماً لمديرية خط الإستواء على مدار ثلاث سنوات (1874- 1876)، وفيها قام غوردون بمد حدود الحكم المصري جنوباً على مناطق واسعة، وكذلك كان له محاولات في القضاء على تجارة الرقيق، وإن لم يتمكن من القضاء عليها، فإن الحد من نشاط تجار العبيد كان أمراً لا بأس فيه.

أما الصورة الثانية التي جسدها غوررودن في السودان فكانت دوره حكمداراً في السودان خلال الأعوام 1877 وإلى 1880، وفيها كان يسعى غوررودن إلى إخماد تجارة الرقيق، والمحافظة على أمن السودان واستقراره، وذلك أمر طبيعي بما أنه حكمداره.

ليعود غوردون باشا إلى السودان عام 1884، وهذه المرة في مهمة عسكرية تجلت في رغبة كل من إنكلترا ومصر في جلاء رعاياها وحامياتها عن السودان، في أعقاب الثورة المهدية وامتداداتها الواسعة والمتسارعة. من أهداف البحث:

1. تسليط الضوء على حياة غوردون باشا بشكل شامل وموجز.
2. تسليط الضوء على ماقام به غوردون في مديرية خط الإستواء، ومدى إلتزامه بأوامر الحكومة المصرية.
3. تسليط الضوء على أعمال غوردون في السودان خلال حكمداريته، وهل فعلاً كان مخلصاً لما كلف به.
4. تسليط الضوء على سير عملية الإخلاء، ومدى نجاح أو فشل غوردون في تنفيذها.

إشكالية البحث:

يدور محور الإشكالية حول أعمال غوردون في السودان، حيث عدها البعض أنها كانت صادقة في سبيل السودان والسودانيين وأنه ضحى بحياته في سبيل نزعته الإنسانية لدرجة صنفه الإنكليز من ضمن القيديسين، بينما هناك رأي آخر قائل بأنه كان يسعى لمصلحة بلاده بما يضر السودانيين بقصد الضرر، ولما كان على المؤرخ أن يلتزم الموضوعية في دراسة القضايا التاريخية، فقد وجب تناول جميع هذه الجوانب بشكل حيادي للخروج بنتائج أقرب إلى الحقيقة.

منهج البحث: اعتمد الباحث على منهجية البحث التحليلي، المعتمدة على الوثائق بشكل أساسي، إضافة إلى الاعتماد على أبرز المصادر والمراجع المتوفرة وأهمها، وتحليلها بشكل موضوعي، بما يخدم موضوع البحث، وأيضاً المنهج الوصفي.

الدراسات المرجعية: اشتملت على دراسة الأيوبي، إلياس(2012). تاريخ مصر في عهد الخديوي اسماعيل باشا. القاهرة: مصر. مؤسسة هنداوي. وفيه تحدث الكاتب عن عصر إسماعيل في كافة أحداثه وقضاياه، سواءاً تلك التي جرت في مصر وتلك التي جرت في السودان.

خلاف. عبد العليم(1999). كشوف مصر الإفريقية في عهد الخديوي إسماعيل 1863. 1879. مصر. الهيئة العامة للكتاب. وقد اختص بدراسة الكشوات الجغرافية التي أمر بها إسماعيل في أعالي النيل الأبيض وسواحل البحر الأحمر وخليج عدن وساحل الصومال وغرب السودان.

التشابه بين هذه الدراسات وهذه الدارسة، أن هذه الدراسات تناولت جوانب من أعمال غوردون في السودان بما يخدم أهداف المؤلفين، بينما هذه الدراسة اكتفت بدراسة أعمال غوردون بشكل خاص وبشكل كامل: كشوفات جغرافية، مكافحة الرق، قمع التمردات الداخلية، ومحاولة حل الخلاف مع الحبشة، ومحاولة إخلاء السودان.

التمهيد:

تقع دولة السودان في الجزء الشمالي الشرقي من القارة الإفريقية، وفي الحقبة التي تناولها البحث أطلق مصطلح السودان على كامل البلاد الواقعة إلى الجنوب من الصحراء العربية الكبرى اسم السودان[1]، وقد ميز المؤرخون الجزء المعني بالدراسة باسم السودان المصري[2]، لوقوع هذا الجزء من البلاد تحت السيطرة المصرية، حيث خضعت تلك البلاد تدريجياً للحكم المصري بدءاً من العام 1820 وهو العام الذي أطلق فيه محمد علي باشا حملة إلى سنار بقيادة ابنه إسماعيل[3]، وتوالت بعدها الحملات إلى أن

[1] شاكر، محمود(1981). السودان. ط2. المكتب الإسلامي. ص: 13.
[2] بركات، داوود(2013). السودان المصري ومطامع السياسة البريطانية. مصر. مؤسسة هنداوي. ص: 14.
[3] زناتي، عامر(2020). حملة محمد علي باشا على السودان 1821. مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية. الجفلة: الجزائر. جامعة زيان عاشور. مج: 12. ع: 1. ص: 373.

استقرت حدود السودان المصري في عهد الخديوي إسماعيل وامتدت على مساحة 1650 ميل من أسوان[1] شمالاً وحتى مدخل بحيرة فكتوريا نيانزا في الجنوب الشرقي[2]، وعلى مساحة مقدرة ما بين 1200 و1400 ميل من مصوع شرقاً وحتى الحدود الغربية لمملكة دارفور غرباً[3].

و إسماعيل باشا الذي اعتلى سدة الحكم عام 1863 وأصبح خديوياً عام 1867 بأمر من السلطان العثماني . والخديوي لقب فارسي يعني الأمير العظيم .، قد تميز عهده بمحاولاته للنهوض بمصر وجعلها دولة عظمى تضاهي بعظمتها الدول الأوروبية، لذلك أجرى عدة اصلاحات استهدفت مختلف مرافق الدولة من إدارية وقضائية وتعليمية واقتصادية[4]، تلك الاصلاحات التي لم تكن لتستوعبها الخزينة المصرية المثقلة بالديون منذ عهد سلفه سعيد باشا[5]، مما أجبر اسماعيل على الاقتراض من فرنسا وإنكلترا لاتمام مشروعه الإصلاحي، فأوجد بذلك مدخلاً لإنكلترا التي كانت تنافس فرنسا في الهيمنة على مصر، لما لموقع مصر من أهمية بالنسبة لخطوط التجارة العالمية لاسيما بعد افتتاح قناة السويس عام 1869، ومنذ ذلك الوقت لم تدخر إنكلترا أي فرصة للتدخل في الشؤون المصرية تمهيداً لاحتلالها[6].

أولاً–التعريف بتشارلز غوردون:

يعد غوردون من أبرز الساسة والقادة العسكريين الإنكليز خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وهو بريطاني الجنسية والمولد، إذ ولد في مدينة ووليتش(Woolwich) البريطانية في 28 كانون الثاني 1833[7]، ينحدر من أسرة عسكرية أباً عن جد، فجده وليام

[1] ونجت(2009). المهدية والسودان المصري. تر: محمد المصطفى حسن. ط1.الخرطوم: السودان. دار عزة. ص: 45.
[2] بركات.(2013)، ص: 13.
[3] ونجت.(2009)، ص: 45.
[4] الإسكندري، حسن، عمر، سليم(2017). تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر. مصر. مؤسسة هنداوي. ص: 230. 232.
[5] الإسكندري، حسن.(2017)، ص: 219.
[6] خليفة، علي(2021. 2022). الاحتلال البريطاني لمصر والسودان والإيطالي لليبيا. محاضرة ألقيت في كلية التربية للعلوم الإنسانية. قسم الجغرافيا. مادة تاريخ الوطن العربي الحديث.
[7] Korzak. B(1973). Charles Gorge Gordon Evolution Of A British Hero. Greensboro. A Thesis Submitted to The Faculty of the Graduate School at The University of North Carolina at Greensboro in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree Master of Arts. P: 9.

أغسطس غوردون(William Augustus Gordon) كان مجنداً في الجيش البريطاني، وأحد المشاركين في حرب السبع سنوات[1]، وقد أورث مهنته هذه لإبنه وليام هنري(William Henry)، الذي عمل مفتشاً في قطاع الإدارة والنقل[2]، وقد ترقى بالرتب إلى أن وصل إلى رتبة فريق[3].

كان غوردون الابن التاسع من أصل إحدى عشر ولداُ لكل من وليام هنري وزوجته إليزابيث إندربي(Elizabeth Enderby)، وبين أسرة والده التي انخرطت في المجال العسكري وأسرة والدته التي عملت بالتجارة وصيد الحيتان[4]، اختار غوردون أن يسلك طريق والده وجده غوردون.

في سن العاشرة أي في العام 1843 انتسب إلى مدرسة (Touron Grammar School)، وفي العام 1848 التحق بأكاديمية وولويتش العسكرية[5]، إلى أن تخرج منها في عام 1852 [6] ، وخلال هذه الأعوام أثبت غوردون مهاراته في وضع الخطط العسكرية والدفاعية، ورسم الخرائط الجغرافية بدقة[7]، وهذا ما جعله قائداً فذاً في المستقبل.

وبعد تخرجه مباشرة تم تعيينة في كتيبة المهندسين الملكيين برتبة ملازم ثانٍ، ثم رقي إلى رتبة ملازم أول عام 1854م، وتم الاستعانة به لتدريس وتدريب الطلاب في كل من أكاديمية وولويتش، الأكاديمية الملكية، و مؤسسة الهندسة في تشاثام(Chatham)، ثم لم يلبث أن التحق بالجيش الإنكليزي في حرب القرم عام 1855، وتم تكليفه بمسح خطوط الأعداء وبناء الملاجئ الشتوية للحلفاء[8].

[1] Butler. W(1889). Charles Gorge Gordon. London. MacmillanAnd CO. P: 9.
[2] Korzak.(1973). P: 9.
[3] Butler.(1889). P: 9.
[4] Korzak.(1973). P: 9.
[5] Korzak.(1973). P: 10.
[6] Butler.(1889). P: 12.
[7] Korzak.(1973). P: 10.
[8] Korzak.(1973). P: 10- 12.

وبعد ترقيه لرتبة نقيب عام 1859[1]، تم استدعاء غوردون إلى الصين عام 1860 للمشاركة في قمع تمرد تايبينغ[2] المندلع منذ العام 1850، ولما نجح في إخماده عام 1864[3] خلع عليه إمبراطور الصين لقب صاري عسكر، لتنتهي مهمته في الصين، فاتخذ طريقه إلى موطنه، حيث ترفع إلى رتبة كولونيل[4]، وأصبح ممثلاً لبريطانيا في القومسيون الدولي الذي أسس للإشراف على الملاحة في نهر الدانوب إلى جانب ممثلين عن كل من: فرنسا ،روسيا ،الدولة العثمانية، بروسيا، وسردينيا، إلى أن استدعته الحكومة المصرية ليكون مديراً لخط الإستواء[5]، عام 1874 كما سيرد عنه بشكل مفصل.

وزبدة القول أن غوردون كان العسكري الشامل الذي أجاد النواحي العسكرية في مختلف تفرعاتها: التخطيط، ورسم الخرائط، والقتالية، وأخيراً التدريبية.

وفضلاً عن كونه عسكرياً فذاً فإنه كان دبلوماسياً فذاً أيضاً، وممثلاً لبلاده في الهيئات الدولية، مما يوحي بأن غوردون كان رجل إنكلترا الأول ورجل عصره، وهذاما سيثبته البحث أو ينفيه.

ثانياً- غوردون مديراً لخط الإستواء 1874. 1876:

ترافق تعيين غوردون مديراً على خط الاستواء مع حقبة تصاعد النزعة المصرية التوسعية باتجاه الجنوب الإفريقي التي شهدها عصر الخديوي اسماعيل[6]، حيث فرض التنافس الدولي حول مساحات إفريقيا على الخديوي للإسراع في مد نفوذه على المناطق التي تحتضن مجرى النيل بغية توحيدها تحت لواء السيادة المصرية، خشية وقوعها في براثن إحدى الدول الأوروبية المتنافسة،

[1] Korzak.(1973). P: 13.

[2] حسين ،عبد الله (2012). السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية. مصر. مؤسسة هنداوي. الجزء الأول . ص: 144.

[3] أبو زيد، أحمد(2022): جودة الحكم في النظم غير الديمقراطية النظام الصيني نموذجاً. قسم العلوم السياسية والإدارة العامة. كلية التجارة. جامعة أسيوط. مصر. ص: 226.

[4] حسين.(2012)، الجزء الأول. ص: 144.

[5] طوسون، عمر(1937). تاريخ مديرية خط الإستواء من فتحها إلى ضياعها من سنة 1869 إلى 1889. الإسكندرية. مصر. مطبعة العدل. الجزء الأول. ص: 107.

[6] خلاف. عبد العليم(1999) . كشوف مصر الإفريقية في عهد الخديوي إسماعيل 1863. 1879. مصر. الهيئة العامة للكتاب. ص: 17.

حيث تزايدت وتيرة النشاط الأوروبي في إفريقيا عن طريق زرع الكيانات التجارية وإرسال البعثات الكشفية التبشيرية، بحجة زرع بذور الحضارة في بقاع إفريقيا المتخلفة[1].

بناءً عليه دخل الخديوي إسماعيل مضمار التنافس متذرعاً بالحجج الأوروبية نفسها ألا وهي تمدين المناطق الإستوائية وطبعها بالطابع المصري المتقدم[2]، على أن يتم ذلك عن طريق محاباة سكان تلك المناطق بعيداً عن القمع وقوة السلاح[3].

وهنا كان على الخديوي أن يحسن اختيار القائد الموكل بتنفيذ هذه المهام، ولما كان اسماعيل بصدد مشروع نهضوي لن تغطيه الخزينة المصرية، وفي الوقت نفسه دخل بشكل معلن مضمار المنافسة مع دول أوروبا على تلك المناطق، فقد وجد في تعيين قائد أوروبي لخط الإستواء ماينشده من استقطاب تأييد تلك الدول، بما يسمح له باقتراض المزيد من الأموال منها[4]، وقد نجح في مساعيه تلك إذ صرح رجالات أوروبا بأهلية مصر لإدارة المناطق الإستوائية، ومثال على ذلك ماجاء على لسان صموئيل بيكر (Samuel Baker) في كتابه الإسماعيلية: إن تمدين إفريقية الواقعة على النيل يكون عن طريق إنشاء حكومة فيها، ومصر هي الدولة الكفئ لتسلم قيادة حركة التمدن فيها، كما صرح سوتزارا(Suzzara): بالنظر إلى أحوال السودان ماقبل السيطرة المصرية من همجية فإن خضوعها لمصر يعد خطوة على طريق التقدم[5].

ولما كانت إنكلترا الأكثر تدخلاً في شؤون الدولة المصرية وأكثرها سطوة، فقد وقع اختيار الخديوي عليها ليستلم أحد رجالاتها قيادة تلك الحملات، فاختارت بادئ الأمر صموئيل بيكر (1869. 1873)[6]، الذي فشل في مهمته، ليخلفه الجنرال غوردون[7].

وقع اختيار الحكومة المصرية على غوردون بعد ترشيح الساسة الإنكليز له، فمنح الخديوي نوبار باشا تفويضاً بتعيين غوردون مديراً لخط الإستواء خلفاً لبيكر[1]، وبالفعل قابل نوبار باشا الجنرال غوردون في أيلول 1872 في السفارة البريطانية في الأستانة

[1] خلاف(1999). ص. 20. 22.
[2] خلاف(1999). ص. 17
[3] خلاف(1999). ص. 63.
[4] خلاف(1999). ص. 28.
[5] الرافعي. عبد الرحمن(1987). عصر إسماعيل. مصر. دار المعارف. جزء الأول. ص: 174.
[6] طوسون.(1937). الجزء الأول. ص: 11.
[7] طوسون.(1937). الجزء الأول. ص: 107.

وعرض عليه رغبة الخديوي في تسلمه مديرية خط الإستواء، فجاء رده خلال شهر تموز 1873 بأنه سيقبل هذه المهمة إذا وافقت حكومة بلاده على ذلك[2].

وبرجوع الخديوي لحكومة جلالة الملكة، اشترطت إنكلترا على الخديوي أن تكون مديرية خط الإستواء مستقلة في شؤونها عن حكمدارية السودان، وأن يعطى غوردون صلاحيات الحاكم، وذلك لكي يكون قادراً على اتخاذ القرارت المناسبة في الوقت المناسب، إذ أن تبعيته لحكمدار السودان ستفرض الرجوع إليه في كل شيء، وهذا بدوره سيعرقل غوردون في أداء مهامه[3].

وبالتالي لم يجد الخديوي بداً من تنفيذ رغبات إنكلترا، فأصدر فرماناً يقضي بتقسيم السودان إلى قسمين:

1. مناطق حكم إسماعيل أيوب باشا حكمدار السودان، تمتد من الشلال حتى فاشودة، عاصمتها الخرطوم.
2. مناطق حكم غوردون وتمتد من جنوب فاشودة وحتى أقصاها، عاصمتها غندكورو[4].

وبالتالي تحقق لإنكلترا ما أرادت، أما غوردون فلم يكن له سوى شرط واحد وهو الراتب، إذ رهن تسلمه لهذه المهمة براتب سنوي مقادره ألفي جنيه، فوافق الخديوي من فوره إذ أن المبلغ الذي طلبه غوردون كان زهيداً جداً بالمقارنة مع سلفه بيكر الذي كان يتقاضى عشرة آلاف جنيه[5].

وبعدما أرضى الخديوي إنكلترا وقبل شرط غوردون سافر غوردون إلى القاهرة في شباط 1874 لتسلم مهامه[6]، وهناك أعطاه إسماعيل التعليمات المطلوبة منه، وأنعم عليه برتبة فريق في الجيش المصري فضلاً عن تعيينه حاكماً لمديرية خط الإستواء[7]، ومن

[1] سمرنوف، سيرجي(1994). دولة المهدية من وجهة نظر مؤرخ سوفييتي ترجمة: هنري رياض. بيروت . لبنان. دار الجيل. ص: 15.
[2] طوسون.(1937). الجزء الأول. ص: 107.
[3] خلاف.(1999)، ص: 64 .
[4] طوسون(1937). الجزء الأول. ص: 107.
[5] طوسون(1937). الجزء الأول. ص: 108.
[6] سمرنوف. (1994)، ص: 16.
[7] حسين.(2012)، ص: 155.

ثم سافر غوردون إلى السودان مصطحباً معه تسعة من القادة ألاوروبيين لتعيينهم في أرفع المناصب، وقد وصل الخرطوم في آذار 1874.[1]

تدل الخطوات التي اتخذها غوردون منذ عرض عليه نوبار باشا حكم منطقة خط الإستواء على أن غوردون كان يضع في حساباته أن يكرس عرض نوبار في خدمة بلده إنكلترا، فغوردون كان ذا نشاط دبلوماسي في تلك الفترة، غير بعيد عن مخططات بلده، وكيف تسير الأحداث في المنطقة، سواءً تلك التي سارت كما تشتهي إنكلترا، أو التي سارت بخلاف ذلك، ولابد أنه كان يعلم بترشيح الساسة الإنكليز له في بلاط الخديوي، وإنما طلب من نوبار الرجوع إلى حكومة بلاده للاقرار على الموافقة أم الرفض، إنما ليتخذ الوقت الكافي ليخطط مع إنكلترا على تسيير أهداف الخديوي بما يتناسب مع فرصة إنكلترا الضائعة في السيطرة على مناطق من السودان، وتوظيف أطماع الخديوي في الخزينة الدولية في إحلال سلطة إنكلترا مكان سلطة الخديوي في الجنوب، والمبلغ البسيط الذي طلبه يؤكد ذلك، فقد كان يريد كسب ثقة الخديوي وإقناعه بنواياه الخيرة، ولم يكن له سبيل إلا التواضع في أخذ حقه.

1. الكشوفات الجغرافية:

وصل غوردون إلى غندوكو في 17 نيسان1874 [2] ، ومن فوره لاحظ أن غندوكو لا تصلح للإقامة فهي عبارة عن أرض جدباء[3] محاطة بالبرك والمستنقعات مما جعلها منطقة موبوءة بالأمراض التي تنتقل عن طريق الحشرات المنتشرة بكثرة، فأخذ يفكر في نقل العاصمة إلى منطقة أكثر ملائمة[4]، فوجد ضالته في الادو فهي تمتلك الكثير من المميزات فهي ذات موقع ملاحي ممتاز على الضفة الغربية لبحر الغزال، وكذلك لقربها من الغابات الغنية بالأشجار مما يوفر الوقود بشكل دائم، فضلاً عن أجوائها الصحية، وقد تم نقل العاصمة بشكل نهائي في 31 كانون الأول عام 1874 [5].

[1] سمرنوف. (1994)، ص: 16.
[2] طوسون.(1937). الجزء الأول. ص: 124.
[3] طوسون.(1937). الجزء الأول. ص: 112.
[4] شبيكة، مكي(1991). السودان عبر قرون. بيروت . لبنان. دار الجيل. ص: 212.
[5] خلاف.(1999)، ص: 68.

وبالتالي زالت العقبة الرئيسة أمام غوردون، وأصبحت الظروف أكثر ملائمة لتنفيذ مهمته التي أناطها الخديوي به، وهي إنشاء سلسة من المحطات العسكرية على طول مجرى النيل الجنوبي وصولاً إلى منابعه في منطقة البحيرات الإستوائية[1]، والتي كان قد بدأها منذ وصوله إلى غندوكو في نيسان 1874 واستمر في إرسال الرحلات حتى نهاية مأموريته في عام 1876، وقد نتج عن الرحلات العديدة سواءً التي قام بها بنفسه، أو التي قام بها الأوروبيون تحت إمرته عدة إنجازات وهي:

1. اكتشاف بحيرة ألبرت، وفرع النيل الخارج بالقرب منها المتجه نحو الشمال الغربي.
2. وضع وصف دقيق للنيل الأبيض على الامتداد من الخرطوم إلى غندكورو والامتداد من غندكورو إلى بحيرة ألبرت، والامتداد من بحيرة فيكتوريا إلى مرولى، والامتداد من شلالات كرومة إلى بحيرة ألبرت، والامتداد بين فويرة ومرولى.
3. كشف بحيرة إبراهيم، وفرع النيل الخارج منها صوب الشمال.
4. كشف الإقليم الواقع بين النيل الأبيض على مقربة من غندكورو وبلاد مكرمة نيام نيام[2].

ولما كانت مناطق الجنوب تغلب عليها الزنجية والوثنية[3]، كذلك كانت من التخلف بحيث اعتمدت مبدأ المقايضة في عملياتها التجارية[4]، لذلك فقد أعلن غوردون في تشرين الثاني 1875 بأن مصر غير قادرة على النهوض بهذه المناطق وهم من يحتاجون قوة خارجية لتنهض بهم خاصة في ظل تردي أوضاعها الداخلية لاسيما المالية، لذلك فإن إنكلترا هي الأجدر بأن تحمل لواء الحضارة والمدينة في الأقاليم الإستوائية حسب ادعائهم، وقد أخذ غوردون يطبق نظريته هذه على أرض الواقع فقام بترحيل الجنود المصريين المرابطين في أوغندا ومملكة اونيورو، رامياً الاحتجاجات المصرية عرض الحائط، وهذا بدوره يعد إهانة كبيرة لمصر أمام العالم الغربي، الذي علم من قناصله في مصر أن مصر أصبحت سيدة الموقف في منطقة البحيرات الإستوائية[5].

[1] خلاف.(1999)، ص: 63.
[2] شكري، محمد فؤاد(1947). الحكم المصري في السودان 1820. 1885. مصر. دار الفكر العربي. ص: 143. 146.
[3] شاكر، محمود(1981). السودان. دمشق.المكتب الإسلامي. ص: 80.
[4] طوسون.(1937). الجزء الأول. ص: 139، 140.
[5] خلاف.(1999)، ص: 75.

يؤكد تصرف غوردون هذا على أن قبوله الخوض في هذه المغامرة خدمة لبلاده إنكلترا، إلا أنه في رأي الباحث يعد تصرف غوردون هذا تهوراً منه من ناحية اختيار التوقيت الزمني، إذ لم يكد يسيطر على تلك المناطق حتى أعلن من فوره عدم أهلية مصر لإدارتها، وفي ذلك انتقاص لنفسه، فهو لم يمهل نفسه لكي يدير تلك المناطق تحت اسم مصر، حتى يبادر بالحكم على عدم أهليتها، ومن ثم ارتجل القرارات من تلقاء نفسه، كان من الأجدر به أن يخوض تجربة في تلك المناطق ومن ثم يعلن عن فشل الحكومة المصرية ويقترح وصاية إنكلترا، وما يفسر خطوته المتسرعة تلك، بعده عن القيادات الإنكليزية مما حال بينه وبين الرجوع إليها لدراسة الخطوات القادمة، وهذا بدوره يدل على أن غوردون لا يستطيع أن يتخذ قرارات صائبة من تلقاء نفسه.

2. مكافحة تجارة الرقيق:

ارتبط تاريخ تجارة الرقيق في السودان بتاريخ تجارة الرقيق في إفريقيا بشكل عام، إذ عرفت إفريقيا الرق منذ فجر التاريخ[1]، إلا أن الرقيق بأشكاله الوحشية ظهر مع بزوغ الأطماع الأوروبية في القارة في القرن الخامس عشر، ونزعة العرق الأبيض لاسترقاق العرق الأسود وهو ماعرف بالتجارة الثلاثية عبر الأطلسي، ومن ثم اشترك الزعماء الأفارقة في هذه التجارة حيث عملوا كمساعدين وسماسرة ووكلاء للتجار الأوروبيين[2].

وقد عرف السودان الاسترقاق بشقيه الاقتناص والقرصنة، وبينما كان الاقتناص يتم في الأراضي داخل البلد ذاته[3]، كانت القرصنة تتم في عرض البحر، حيث كان القراصنة يغيرون على البواخر، ويقبضون على ركابها، ويبيعونهم في أسواق لشبونة وإشبيلية[4].

[1] حسين(2012)، الجزء الأول. ص: 211.
[2] نقد، محمد إبراهيم(2003). علاقات الرق في المجتمع السودان النشأة السمات الاضمحلال. الخرطوم . السودان. دار عزة. ص: 248، 249.
[3] لعقانقة، عياش، حدة، حسينة(2017. 2018). تجارة الرقيق عبر الأطلسي وتأثيرها السياسي والاقتصادي مابين القرنين 15 . 19م. مذكرة درجة الماجستير. قسم التاريخ. كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية. جامعة جيلالي بونعامة. خميس مليانة: الجزائر. ص: 48.
[4] حسين(2012)، الجزء الأول. ص: 210.

الجدير بالذكر أن الأوروبيين الذين أوجدوا تلك التجارة بفرعيها، هم من نصبوا أنفسهم كجنود إنسانيين يحاربون ضدها، وقد أخذت بريطانيا دور القائد، ففي عام 1787 تشكلت جمعية لمكافحة تجارة الرقيق في العالم، وقد حذت الدول الأوروبية حذوها في ذلك[1]، ولإبطال القرصنة أصدرت بريطانيا عام 1833 مراسيم تقضي بإلغاء الرقيق في جميع مستعمراتها[2].

ولما كان هدف محمد علي باشا من غزو السودان استجلاب الرقيق، فقد بدأت مساعي الدول الأوروبية في بلاطه لاقناعه في معاضدة جهود الدول الأوروبية في مكافحة تجارة الرقيق في السودان، فاستجاب لهم وأعلن عام 1838 عن إلغاء الرق[3]، واستمر خلفاؤه في السير على نهجه[4]، ولما استلم اسماعيل الحكم، بذل جهوداً كبيرة في مكافحة تجارة الرقيق[5] مكلفاً غوردون باتخاذ الإجراءات المناسبة للقضاء عليها في مناطق أعالي النيل، فأقام غوردون محطات عسكرية على النيل الأبيض وروافده، وعلى نهر السوباط، وكان الغرض منها تفتيش السفن الذاهبة إلى الخرطوم، وهذا بدوره سيؤدي إلى عرقلة نشاط تجار الرقيق في النيل الأبيض[6].

ورغم الجهود المبذولة في مكافحة تجارة الرقيق في عهد محمد علي وخلفائه إلا أن التجارة استمرت في نشاطها، بسبب ضلوع التجار الأجانب فيها أولاً[7]، ولفساد رجال الحكومة في الخرطوم ثانياً[8]، كل ذلك جعل غوردون يفكر جدياً في الاستقالة، وبالفعل أقدم على هذه الخطوة في نهاية عام 1876، حيث غادر السودان إلى مصر، فوصلها في أوائل كانون الأول 1876، ومن مصر سافر إلى لندن[9].

[1] حسين(2012)، الجزء الأول. ص: 206.
[2] حسين(2012)، الجزء الأول. ص: 211.
[3] شكري.(1947)، ص: 162- 163.
[4] ضرار، ضرار(1968). تاريخ السودان الحديث. بيروت: لبنان. مكتبة الحياة. ص: 78.
[5] شكري.(1947)، ص: 171.
[6] شكري.(1947)، ص: 179. 181.
[7] ضرار. (1968)، ص: 78.
[8] حميدة، بشير(1969). صفحات من التركية والمهدية. الخرطوم: السودان. دار الإرشاد. ص: 99.
[9] خلاف. (1999)، ص: 76.

وبالتالي انتهت أول مرحلة من مراحل تواجد غوردون في السودان.

ثالثاً- غوردون حكمداراً للسودان 1877، 1880:

انتهت فترة حكم إسماعيل أيوب للسودان في عام 1877[1]، وكان على الخديوي أن يجد بديلاً كفئاً يتولى إدارة السودان، ولما كانت مساعي الخديوي لازالت مستمرة في إرضاء إنكلترا وكسب رضاها، لجأ إلى استشارتها في الرجل المناسب لهذه المهمة، فرشحت إنكلترا غوردون ليكون حكمداراً للسودان[2].

وبالفعل استدعى الخديوي غوردون الذي جاء من إنكلترا في مطلع شهر شباط 1877، وتم التفاوض بينه وبين الخديوي حول شروط استلام الحكمدارية حيث اشترط غوردون أن يحكم السودان بأكمله، فانقسامه إلى مديريات يعرقل إدارته وتوطيد الأمن فيه، وهذا بدوره ينعكس على تجارة الرقيق مما يصعب السيطرة عليها[3] .

وبالفعل استجاب الخديوي لمطالب غوردون، وفي 17 شباط استلم غوردون فرماناً يخوله حكم جميع أراضي السودان المصري، بالإضافة إلى مناطق الأطراف (سواحل البحر الأحمر، هرر، دارفور، خط الإستواء)، وأعطي بموجبه السلطتين العسكرية والمدنية، ومنح الصلاحيات المطلقة في الحكم بالإعدام أو العفو دون الرجوع إلى الخديوي، وتم تقييد حركة الدخول إلى السودان وجعلها محصورة في موافقته[4].

يتضح من تعيين غوردون للمرة الثانية خنوع وخضوع الخديوي لسيطرة إنكلترا دون تخطيط مسبق أو تدخل متعمد من قبل الإنكليز، وكان رد فعل إنكلترا على ذلك أن اتبعت سياسة استغلال الفرص، وعدم ركل أي طلب من الخديوي لخطب ودها، فكانت ترسم سياسة سريعة لتحقيق مصالحها على الوجه الأكمل، متظاهرة أن جل غايتها تلبية نداء الخديوي الملهوف، ومد يد العون للشعب المغلوب على أمره.

[1] شقير، نعوم(1981). تاريخ السودان. تحقيق: محمد إبراهيم أبو سليم. بيروت: لبنان. دار الجيل. ص: 92.
[2] ضرار. (1968)، ص: 92.
[3] خلاف. (1999)، ص: 76.
[4] شقير. (1981). ص: 92.

1. معاهدة إلغاء الرق:

باشر غوردون بتنفيذ مهامه فور وصوله الخرطوم في اليوم الرابع من أيار 1877[1]، و كان عليه ككمدار أن يتابع جهوده السالفة في مكافحة الرقيق، لاسيما مع استمرار الخديوي إسماعيل في انتهاج تلك السياسة في مصر، وقد تزامنت حكمداريته مع توقيع الخديوي اسماعيل معاهدة مع إنكلترا لمنع الاتجار بالرقيق وإبطال الرق في 4 آب 1877، وقد قيدت بموجبها تحركات الرقيق في مصر من حيث منعهم من دخول مصر أو استخدام ممراتها في الانتقال إلى دول أخرى، ومن ناحية أخرى يمنع خروج الرقيق من مصر دون إشهار مايثبت أنهم أحرار، وإبطال تجارة الرقيق بين السكان المحليين في مصر والسودان، وإخضاع التجار لمحاكمة عسكرية، وإبطال بيع الرقيق بين العوائل المصرية بعد مضي سبع سنوات من تاريخ المعاهدة، ومنع بيعهم بين العوائل السودانية بعد إثنتي عشر سنة، مساهمة الخديوي في مكافحة صيد الرقيق في إفريقيا الوسطى، وإعطاء إنكلترا الحق في تفتيش السفن في البحر الأحمر والمياه المصرية[2].

تلك كانت المحاور التي تضمنتها المعاهدة، ولما كانت المعاهدة تسري على كل من مصر والسودان، كان على غوردون العمل بها، فاستهل أعماله بإلقاء القبض على 12 قافلة من العبيد، وللمفاجأة الكبيرة رفض هؤلاء العبيد مفارقة مالكيهم، وعملاً بالإتفاقية أصدر غوردون أوامره بتسجيل أسماء الأرقاء وبياناتهم، وأعطى المالكين وثائق تفرض عليهم إطلاق عبيدهم بعد مرور 12 سنة من تاريخه[3].

للمرة الثانية لم ينجح غوردون في إلغاء الرق وحماية الرقيق في السودان، وكل ما استطاع فعله هو التمهيد لعتقهم وفق المدة التي حددتها الاتفاقية، وهذا بدوره يعكس الحالة الاجتماعية والنفسية للشعب السوداني، إذ اعتاد الذل والهوان بسبب الحالة الاقتصادية السيئة التي عانى منها، وهنا يظهر التقصير الشديد في دراسة الاتفاقية والسبل المثلى لنجاح تطبيقها، فكان على كل

[1] شبيكة. (1991)، ص: 223.
[2] الأيوبي، إلياس. (2017). تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا. مصر. مؤسسة هنداوي. ص: 280.
[3] ضرار. (1968)، ص: 101.

من مصر وإنكلترا دراسة كيفية تأمين فرص عمل بديلة لهؤلاء العبيد، ولما كانت الاتفاقية تفتقر لذلك كان من الطبيعي أن يرفض العبيد الحرية التي منحت لهم، لأن ذلك يعني خسارتهم لمصدر رزقهم.

وهنا يتبادر للأذهان السؤال، لماذا قصرت إنكلترا في دراسة هذا الجانب وهي الدولة الحضارية التي تسعى لنشر الحضارة بما فيه الخير والنجاة والخلاص للبشرية؟ ولماذا قصر الخديوي في ذلك أيضاَ، وهو الساعي لارتقاء بدولته إلى مصافي الدول العظمى؟

تتضمن سطور المعاهدة الجواب على هذا السؤال، من خلال موافقة مصر على مرابطة السفن الإنكليزية في البحر الأحمر والمياه المصرية بحجة مكافحة تجارة الرقيق، وهذا ما كانت تنشده إنكلترا منذ الاحتلال الفرنسي لمصر عام 1798 أن تحمي طريق المواصلات المؤدي للهند عبر مصر والبحر الأحمر.

هذا من الجانب الإنكليزي، أما عن الجانب المصري، فيتضح جلياً أن مكافحة الرقيق لم يكن مطلباً إنسانياً من الحكومة المصرية، بل لكسب رضا الإنكليز والتقرب منهم بوصفهم حملة راية الانتصار للرقيق، ومن ثم لا داعي لدراسة المعاهدة طالما أنها حققت غرضها في التقرب من الإنكليز.

2- القضاء على التمردات الداخلية:

شهدت حكمدارية غوردون ثلاث حركات انفصالية إحداها اندلعت في عهد سلفه اسماعيل أيوب واستمرت حتى مجيئه، والحركتان الأخريان حدثتا في عهده، واخمدتا على يديه.

ثورة السلطان هارون 1877. 1880:

قامت هذه الثورة في مديرية دارفور، ولما كانت جذور قائدها محمد هارون قد ارتبطت بتاريخ المنطقة فمن الأحرى أن نلقي نظرة موجزة على تاريخ المنطقة لبيان خلفيات الثورة.

على الرغم من أن لمملكة دار فور جذور في المنطقة منذ العام 1291م[1] إلا أن تاريخ تأسيسها يعود إلى العام 1445م أي عام توحيد السلطنات المتفرقة في المنطقة على يد سليمان الأول[2]، ومنذ ذلك العام وحتى تاريخ سقوطها عام 1874[3]، كان الحكم محصوراً بأفراد من نسل سليمان[4].

مما يستوجب التنويه إليه أن إخضاع سلطنة الفور لم يكن ضمن خطط محمد علي باشا، لبعدها وافتقاره للمعلومات الكافية عنها[5]، لذلك تم ضمها في عهد خليفته إسماعيل، على يد الزبير رحمة[6]، الذي قتل السلطان إبراهيم آخر سلاطين دار فور[7]، بينما أقتيد باقي أفراد أسرته إلى القاهرة[8].

أما عن أسباب قيام اسماعيل بضمها حسب رأي الباحث فلكونها سوقاً نشطة للعبيد[9]، مما يكسبه تأييد الدول الأوروبية وفي الوقت نفسه يوسع حدود دولته تحت تصفيق الأوروبيين الحار.

عقب فترة الاضطرابات التي عاشها سكان دار فور قبل سقوطها فترة من الهدوء، إذ مال سكانها إلى السلم، وهذا ما جعلهم يجنحون إلى رغبة إسماعيل أيوب في رفع قيمة الضرائب المفروضة عليهم، إلا أنهم مالبثوا أن انتفضوا ضده على أثر تعسف الجباة في تحصيلها، مما دفعهم إلى الالتفاف حول محمد هارون بن الأمير سيف الدين بن السلطان محمد الفضل، الذي أعلن تمرده وعصيانه في مطلع العام 1877[10]، ملقباً نفسه بمحمد هارون الرشيد الصادق السعيد المنصور بقوة الله المؤيد برسول الله[1].

---

[1] شقير.(1981)، ص: 148.

[2] يدعى سليمان سولونج وتعني العربي، مما يدل على أن الفور مملكة عربية. مسعد، مصطفى.(2015). سلطنة دار فور تاريخها وبعض مظاهر حضارتها. الخرطوم: السودان. دار المصورات للنشر. ص: 19.

[3] عبد الجليل، الشاطر.(2009). معالم تاريخ السودان وادي النيل من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر الميلادي. مصر. مكتبة الشريف الأكاديمية. ص: 174.

[4] شقير.(1981) ، ص: 152.

[5] Beska.(2019), P: 50.

[6] الزبير بن رحمة(1831. 1913): من قبيلة الجميعاب،نسبة إلى الجد الأكبر جُميع، الذي ينحدر من أسر بني العباس في بغداد، ولد في جزيرة واوسي عام1831 ، كان يعمل بالتجارة، في عام 1865 أصبح حاكماً على ما سمي ديم الزبير في بحر الغزال، وفي عام 1873 دخل في طاعة الخديوي إسماعيل. شقير، نعوم(1903). تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته. مصر. مطبعة المعارف. المجلد الثالث. ص: 60، 66، 74.

[7] حسين.(2012)، الجزء الأول. ص: 97.

[8] F.O. 407. No. 115. Sir E. Baring to Earl Granville. Cairo. February 5. 1884. Further Correspondence Respecting the Affaies of Egypt. January to March 1884. P: 203.

[9] شكري.(1947)، ص: 12.

[10] شقير(1903)، المجلد الثالث، ص: 93.

بدأ هارون الرشيد ثورته بمهاجمة سكان المناطق الموالية للحكم المصري، وقام بإحراقها[2]، ثم تابع سيره إلى الفاشر ودارا وفرض الحصار عليهما، فأرسل مدير الفاشر حسن باشا حلمي إلى الخرطوم طلباً للمدد، ونجح في رفع الحصار عن المنطقتين، ففر هارون إلى نيورينا الواقعة في وسط جبل مرة.

عندما تولى غوردون حكمدارية الخرطوم ذهب بنفسه إلى الفاشر فوجد أن هارون لم يتحرك ساكناً، فرأى أن يدعه وشأنه، وأعطى الأولوية للعمل على استمالة السكان، فأمر بالرفق في تحصيل الضرائب، ومن ثم قفل راجعاً إلى الخرطوم.

إلا أن هارون جدد نشاطه في أوائل سنة 1879، وكذلك لم يشأ غوردون أن يحرك ضده، فقد كان يرى أن يجعل على دار فور شخص من أفرادها يكون على دراية بها وبأهلها مما يكمنه من تقليم أظافر هارون ويقضي عليه في جحره، لذلك أرسل إلى مصر في طلب أحد أبناء السلطان إبراهيم، ووضع اقتراح غوردون حيز التطبيق، لولا وفاة الأمير المنتدب عند وصوله إلى دنقلة.

عندها أدرك غودون أنه لابد من التحرك سريعاً للقضاء على هارون قبل أن تمتد ثورته ويشتد عوده[3]، فوقع اختياره على مفتش المالية سلاطين باشا، فبادر من فوره بتنفيذ مهمته، وتحرك على رأس جيوشه في شهر شباط، ولم يطل القتال كثيراً فقد نجحت قوات غوردون في القضاء على هارون في عقر داره في آذار 1880.

ثورة سليمان بن الزبير 1877. 1879:

اتُهم سليمان بن الزبير بمحاولة الثورة مرتين، المرة الأولى عام 1877[4]، والمرة الثانية عام 1878[5]، إلى أن ثار بشكل حقيقي عام 1789[6]، وثورته تلك لم تكن ثورة بالمعنى الحقيقي بل كانت دفاعاً عن النفس.

---

[1] سرهنك، اسماعيل(1896). حقائق الأخبار عن دول البحار. مصر. المطبعة الميرية. الجزء الثاني. ص: 333.
[2] سرهنك(1896). ص: 333، 334.
[3] شقير.(1903)، المجلد الثالث.ص: 94، 96.
[4] إسماعيل، عز الدين(1998).الزبير باشا ودوره في السودان في عصر الحكم المصري. مصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص: 198.
[5] سوار، جعفر(1998). الزبير باشا رحمت وعلاقته بالقوى المجاورة في الفترة من 1246. 1331هـ/ 1831. 1913م. أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي. كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. جامعة أم القرى. السعودية. ص: 225.
[6] العبيد، خليفة (1995). الزبير باشا يروي سيرته في منفاه بجبل طارق. السودان. مركز الدراسات السودانية. ص:105.

ساءت العلاقة بين الخديوي وبين مدير بحر الغزال الزبير رحمة، وذلك بسبب تأثير دسائس ووشايات غوردون عندما كان حاكماً على الإستوائية، فأرسل الزبير إلى الخديوي اسماعيل يستأذنه في السفر إلى مصر من أجل لقائه وإصلاح الموقف، واقتراح تأسيس حكمدارية في بحر الغزال يكون الزبير حكمدارها، وبالفعل وافق الخديوي على طلب الزبير، فرحل إلى مصر عام 1875[1] تاركاً مقاليد الإدارة بيد صديقه المقرب إدريس أبتر[2]، بينما عهد إلى ابنه سليمان قيادة جيشه المؤلف من أربعة ألاف مقاتل[3]، إلى حين عودته من مصر، إلا أن الخديوي قام باحتجاز الزبير ووضعه تحت الإقامة الجبرية[4]، دون أن يصدر أي أوامر إدارية بشأن بحر الغزال.

فما كان من إدريس إلا أن خان العهود مع صديقه، واستبد في حكم المنطقة تحقيقاً لمصالحه الشخصية، فعاث فساداً فيها[5]، مما أزعج سليمان الذي لم يكن في مقدوره كبح جماح إدريس ووضع حد لفساده، لذلك غادر مع جيشه بحر الغزال قاصداً شكا[6].

أثار قدوم جيش سليمان حفيظة مديرها سعيد بك حسين، ولما كان يريد إبعاد سليمان عن شكا دون الاشتباك معه لذلك لجأ إلى غوردون وأخبره أن سليمان يرمي من وراء قدومه إلى شكا التمرد على حكومة السودان انتقاماً لأبيه، فسارع غوردون إلى دارا وقام باستدعاء سليمان، فحضر بين يديه في آب 1877، وبقصد إهانة سليمان والحيلولة دون قيامه بالثورة أمره غوردون بتفريق جنوده، فلبى سليمان الأمر مباشرة[7]، فسلخ غوردون ألفاً من جنوده وألحقهم بجيش سعيد بك، وأعطى سنجقاً كاملاً لمدير كبكابية، وصرف سليمان إلى شكا برفقة من تبقى معه من الجنود[8]، وكان سبب سكوت سليمان عن هذه الإهانة وتجاوبه السريع معها لخوفه على

[1] العبيد. (1995)، ص: 103.
[2] شقير(1903)، المجلد الثالث. ص: 96.
[3] إسماعيل.(1998)، ص: 198.
[4] العبيد.(1995)، ص: 105.
[5] شقير(1903)، المجلد الثالث. ص: 96.
[6] إسماعيل.(1998)، ص: 198.
[7] إسماعيل.(1998)، ص: 198.
[8] سوار. (1998)، ص: 223.

حياة أبيه المحجوز كرهينة في القاهرة[1]، إلا أن مشاعر الذنب تجاه سليمان مالبثت أن خالجت نفس غوردون فاستدعى سليمان في أيلول 1877وعينه مديراً على بحر الغزال خالعاً عليه لقب بك[2].

وجد سليمان في تعيينه مديراً فرصة لوضع حد لإدريس ومعاقبته على سيرته السيئة، ففر إدريس إلى الخرطوم، وأخبر غوردون أن سليمان صرح بأن بحر الغزال ملك له ورثه عن أبيه، وأنه يخطط للاستقلال به[3].

وللمرة الثانية صدق غوردون الوشاية على سليمان، وقرر أن يترك أهل السودان يضربون بعضهم بعضاً، فزود إدريس ب200 جندي، وأعطاه لقب بك، وعينه مديراً على بحر الغزال بدلاً من سليمان.

فرح إدريس بذلك إذ جاءته فرصة مناسبة يرد بها الاعتبار لنفسه، وغادر الخرطوم إلى بحر الغزال، فاستقر به المطاف عند ديم فنده حيث أخاه عثمان، ومن هناك أرسل كتاباً إلى سليمان يطلب منه الدخول في طاعته، فرد عليه سليمان رداً يحمل عبارات الاستخفاف ويذكره بأنه عبد لدى والده قبل أن يكون عبداً لديه، وأن مشكلته معه بالمسلك السيء الذي سلكه، فلو أن غوردون أرسل أي أحد آخر ولو كان عبداً لسلم له.

استشاط إدريس غضباً بعد هذا الرد ولم يشأ أن يسرها في نفسه، فلجأ إلى محاولة إخضاع سليمان بالحديد والنار، فقرر بداية أن يؤلب سكان بحر الغزال على سليمان، فأخذ يرتحل في أرجاء المديرية تاركاً جنوده في عهدة أخيه عثمان، الذي كان لايفتأ أثناء غياب أخيه يرسل الشتائم والتهديدات لسليمان، فاستفزت تصرفاته هذه سليمان، فقاد جيشه وأغار على ديم فندة، وقاتل عثمان فأرداه قتيلاً، وبعد أن تم له القضاء على غالبية جنوده عاد سليمان إلى بحر الغزال محملاً بالأسلحة، ويجر الأسرى إلى معسكره[4].

[1] الزبير، سعد الدين(1953). إمبراطورية رابح الزبير مذابح الاستعمار الفرنسي في السودان. مصر. مطابع الفؤاد. ص: 37. 38.
[2] إسماعيل.(1998)، ص: 198.
[3] سوار.(1998)، ص: 224.
[4] شقير.(1903)، المجلد الثالث. ص: 97.

عد غوردون تصرف سليمان تمرداً على الحكومة المصرية، فجهز حملة بقيادة رجل أوروبي يدعى جيسي، واشتبك مع سليمان في إثنا عشر معركة، لم يتمكن جيسي خلالها من إخضاع سليمان[1]، إلى أن تلقى سليمان كتاباً من والده يطلب منه التسليم لغورون لعدم قدرته على الوقوف في وجهه[2]، وبعد الكتاب الذي وصله من أبيه أذعن سليمان لجيسي وقام بتسليم نفسه مع 700 من رجاله[3] في 14 تموز 1879[4]، فغدر به جيسي وقتله مع ثمانية من أعمامه[5]، لتنتهي بذلك ثورة سليمان بن الزبير.

لم يكن سليمان ثائراً أو متمرداً، بل كان ضحية غوردون ذو الشخصية الضعيفة سريعة الاشتعال، بل كان صبوراً ومسالماً إذ استفزه غوردون مرتين ومع ذلك لم يخالف أوامره أو يعصيه، إلى أن أصبحت حياته مهددة بشكل مباشر، وكأن غوردون دفعه لكي يثور من أجل أن ينهي حياته.

حركة صباحي في كردفان 1879:

أثارت القلاقل التي حدثت في السودان على أثر ثورتي الأمير هارون وسليمان بن الزبير حفيظة أحد قواد الزبير ويدعى صباحي، فقام بالانفصال عن جيش الزبير وكون جيشاً لصالحه مؤلفاً من 400 مقاتل، وأعلن ثورته على الحكم المصري في كردفان، فأرسل له غوردون قوة تمكنت من اعتقاله وذلك في شهر آذار، وتم القبض عليه، ومثل أمام المجلس العسكري الذي أصدر في حقه حكم الإعدام[6].

وفي ختام دراسة التمردات التي حدثت خلال حكمدارية غوردون يمكن القول أن سياسة غوردون الطائشة هي التي أشعلت ثورتي سليمان بن الزبير وصباحي، فلو سار في السودان سيرة حسنة وحكيمة عندها لن يكون أمامه سوى القتال على جبهة الأمير

[1] سوار .(1998)، ص: 235. 236.
[2] إسماعيل.(1998)، ص: 199.
[3] شقير .(1903)، المجلد الثالث. ص: 101.
[4] سوار .(1998)، ص: 226.
[5] الزبير. (1953)، ص: 42.
[6] شقير .(1903)، المجلد الثالث. ص: 103.

هارون، أي أن ظلم غوردون الواقع بشكل شخصي على سليمان دفعه للثورة عليه، ونتيجة ثورة سليمان ثار صباحي، وهذا ما يعد نقطة سوداء في صفحة غوردون.

3- ترسيم الحدود مع الحبشة:

تعد مشكلة الحدود بين الحبشة والسودان من المشاكل ذات البعد التاريخي التي ترجع إلى عصور ماقبل الميلاد، وقد افتتح هذه المشكلة كل من مملكة مروي[1] في السودان و مملكة أكسوم[2] في الحبشة منذ القرن الثالث قبل الميلاد، وقد نشب الصراع بينهما من أجل أحقية السيطرة على مدينة أدوليس الواقعة على بعد 60 كلم جنوب مصوع، و انتهى الصراع بانتصار أكسوم على مروي[3].

إلا أن الجبهة على الحدود لم تهدأ طيلة القرون اللاحقة، سواءً في عهد مملكة الفونج(1504، 1821م)[4]، أو في العهد العثماني . المصري، حيث نشب الخلاف بين المصريين والأحباش حول حيازة مدينة القلابات التي كانت من أملاك الفونج، إلا أن الحبشة قامت بضمهاعلى أثر اضطراب الأوضاع في السودان إلى أن تمكنت مصر من استعادتها عام 1838[5] .

وفي عهد الخديوي اسماعيل تجددت الخلافات مع الحبشة التي كان يحكمها حين ذاك النجاشي ثيودوروس (1855- 1868م)[6] ، وكان سبب الخلاف هو رغبة اسماعيل في ربط مصوع بكسلا مروراً بسنهيت التي يعدها ثيودوروس من أراضي الحبشة[7]، ومما زاد الطين بلة طموح اسماعيل في السيطرة على منابع النيل الأزرق الواقعة في أراضي الحبشة، فأرسل إلى الحبشة ثلاث حملات

[1] مملكة مروي(644 ق.م . 545م): امتدت ما بين الشلال الأول وحتى أعالي النيل الأزرق. شقير.(1903)، المجلد الثاني. ص: 22.
[2] مملكة أكسوم: نشأت في عصور ماقبل الميلاد في شمال شرقي أثيوبيا الحالية، واستمرت حتى القرن التاسع الميلادي. يسري، إبراهيم(2016). النيل وسد النهضة عبرالتاريخ والجغرافيا. مصر . المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية. الجزء 2. ص: 2.
[3] سبي، عثمان(2002). دراسة علمية علاقة السودان بأثيوبيا عبر التاريخ. إيرتيريا. جبهة التحرير الإرترية مكتب الإعلام. ص: 6،7.
[4] نشأت عام 800م. يسري.(2016)، ص: 2
[5] سبي.(2002)، ص: 24، 25، 26.
[6] مسعد، بولس(د.ت). الحبشة وأثيوبيا في منقلب من تاريخها
www. Noor- book.com, P: 143- 146.
[7] الأيوبي.(2012)، ص: 483.

بين عامي 1875. 1876م[1] جميعها كانت أثناء حكم النجاشي يوحنا[2] الرابع(1868. 1889م)[3] ، وقد نجح الأحباش في التصدي لها ودحرها[4] إلا أن اسماعيل لم يكن ليسكت عن الإهانة التي لحقت به على يد الأحباش، وقرر التحرك ضدهم مجدداً ولكن هذه المرة قرر غزو الحبشة بأكملها، إلا أن الإنكليز حلفاء الأحباش تدخلوا لصالح الحبشة ومنعوه من تنفيذ مشروعه[5].

وبعد تولي غوردون حكمدارية السودان عام 1877، كلفه الخديوي اسماعيل بمهمة إيجاد حل نهائي لمشكلة الحدود مع الحبشة، وبالفعل سافر غوردون إلى مصوع، إلا أنه لم يتمكن من فعل شيء بسبب الفتنة المشتعلة على حدود الحبشة[6]، فضلاً عن اشتعال ثورة هارون الرشيد، لذلك تخلى عن قضية التفاهم مع الحبشة، وعاد أدراجه إلى الخرطوم من أجل العمل على قمع ثورة هارون[7].

ومنذ ذلك التاريخ خرجت مسألة ترسيم الحدود مع الحبشة من حسابات اسماعيل، ولكن عندما اعتلى ابنه توفيق عرش الخديوية في 25 حزيران 1879 ، كانت أولى القضايا التي اعتنى بها هي مسألة الحدود مع الحبشة، فطلب من غوردون النظر في هذا الأمر، وفي تلك الأثناء كان القائد الحبشي الرأس[8] الولا يشن غاراته على سنهيت، مما اضطر غوردون إلى السفر إلى دبرتابور للقاء ملك الحبشة شخصياً، وفي 28 تشرين الأول التقى غوردون بالملك يوحنا، فعرض عليه غوردون أن يضع شروط الصلح بما ينهي النزاع ويخطط الحدود، فاشترط يوحنا بأن يتنازل الخديوي له عن المتمة وسنهيت وزيلع وقسم من بلاد هرر، كما خيره بين إعطائه مصوع أو أن يدفع له مليون جنيه.

[1] حسين.(2012)، الجزء الأول. ص: 196، 197.
[2] عابدين، عبد المجيد(د.ت). بين الحبشة والعرب. القاهرة: مصر. دار الفكر العربي. ص: 206.
[3] أحمد، يوسف(1935). الإسلام في الحبشة وثائق صحيحة قيمة عن أحوال المسلمين في مملكة أثيوبيا من شروق الإسلام إلى هذه الأيام. القاهرة: مصر. مطبعة حجازي. ص: 47.
[4] حسين.(2012)، ص: 196، 197.
[5] مهيدات، جوهر.(2006). السياسة البريطانية وأثرها في تكوين مشكلة جنوب السودان 1899. 1956. مذكرة لنيل درجة الدكتوراه. قسم التاريخ. كلية الآداب. جامعة اليرموك. الأردن. ص: 20.
[6] شقير.(1903)، المجلد الثالث، ص: 103، 104.
[7] ضرار.(1968)، ص: 93.
[8] الرأس: لقب شاع في أثيوبيا يطلق على رؤساء الأسر الكبيرة وحكام المقاطعات والوزراء وكبار الموظفين. الكردفاني، اسماعيل(1991). الطراز المنقوش ببشرى قتل يوحنا ملك الحبوش. تحقيق: محمد إبراهيم أبو سليم وسعيد القدال. ط1. بيروت: لبنان. دار الجيل. ص: 57.

بعد لقائه مع يوحنا عاد غوردون أدراجه إلى السودان، وقبل وصوله إلى القلابات ألقي القبض عليه وسيق إلى دبرتابور، ثم أطلق سراحه وسمح له بالسفر إلى الخرطوم لكن هذه المرة سلك طريق مصوع، فوصل الخرطوم في 8 كانون الأول عام 1879، وعلى أثر ذلك قام بتقديم استقالته[1].

في هذه المرحلة يتضح جلياً سقوط أسطورة غوردون السياسي الإنكليزي المحنك رجل المهام الصعبة، إذ باءت جميع أعماله بالفشل عدا القضاء على ثورتي هارون الرشيد وثورة صباحي.

رابعا- غوردون وسياسة الإخلاء 1884. 1885:

اندلعت الثورة المهدية بقيادة محمد الأحمد المهدي عام 1881، وقد تكبد الجيش المصري خسائر كبيرة في كافة معاركه معها رغم معاضدة بعض القادة الإنكليز للمصريين، واستمر المهدي في التقدم حتى أصبح على مشارف الخرطوم، فأصبحت مصر في موقف حرج، ولما كانت إنكلترا قد احتلت مصر عام 1882 بحجة حمايتها والمساعدة على استتباب الأمور فيها[2]، فقد تدخلت لحل مشكلة مصر في السودان، فاقترحت إنكلترا على مصر فكرة إخلاء السودان[3]، على أن يكون وادي حلفا الحد الجنوبي لمصر[4].

وبحسب رأي القدال أن إنكلترا اقترحت إخلاء السودان خوفاً من لجوء مصر إليها من أجل إرسال حملة جديدة إلى السودان، في ظل يأس إنكلترا من القضاء على المهدي[5].

وكان رد الخديوي توفيق بالموافقة على الاقتراح البريطاني، لقناعته بأن بريطانيا حريصة على مصلحة مصر[1]، ومن ثم تدخلت إنلكترا واقترحت الشخصية الأقدر على القيام بتنفيذ الإخلاء بحجة أن مصرغير قادرة على القيام بذلك لوحدها، ولابد لها من

[1] شقير.(1903)، المجلد الثالث، ص: 104.

2 F.O. 407. No. 383. Sir E. Baring to Earl Granville. Received December 13. Telegraphic. No. 577. Cairo. December 3. 1883. Further Correspondence Respecting the Affaies of Egypt. June to December 1883. P: 267.

3 شكري، محمد فؤاد(2011). مصر والسودان تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر. القاهرة: مصر. مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ص: 300.

4 F.O. 407. No. 455. Sir E. Baring to Earl Granville. Received February 20. Telegraphic. No. 173. Cairo. February 12. 1884. Further Correspondence Respecting the Affaies of Egypt. January to March 1884. P: 228.

5 القدال، سعيد(2002). تاريخ السودان الحديث. ط2. السودان. مركز عبدالكريم ميرغني، ص: 210، 211.

مساعدة إنكلترا[2]، فوقع اختيار الساسة الإنكليز على غوردون[3]، ووافقت مصر على ذلك بسبب خبرته السابقة في السودان لما عرف عن غوردون من مآثر حققت له شعبية كبيرة في السودان، لاسيما بين قبائل الغرب، متناسيين أن قبائل الغرب هم الأكثر تعصباً للمهدي[4].

غادر غوردون إنكلترا في 18 كانون الثاني 1884، حاملاً توصيات بلده بإعداد تقرير عسكري عن الوضع الراهن في السودان، والقيام بالإجراءات المناسبة التي من شأنها أن تحافظ على سلامة وأرواح رجال الحاميات المصرية وأفراد الجاليات الأوروبية في الخرطوم[5]، إلا أن الخديوي كان له توصيات أخرى، فلدى لقاءه بغوردون في 26 كانون الثاني أعطاه فرماناً بتعيينه حكمداراً على السودان[6]، وطالبه بالعمل على إخلائه، ولكن بعد تنصيب حاكم محلي على السودان، يكون مؤهلاً التصدي للمهدي[7]، وعلى الرغم من وضوح هدف الخديوي من هذه التوصيات ألا وهو الحفاظ على أمن الطرق التجارية بين مصر والسودان[8] ، أوعزت إنكلترا إلى غوردون بتنفيذ ما أمر به[9].

أما غوردون فقد كان يفكر لأبعد من ذلك[10]، إذ كان يخطط لوضع أساس للحكومة السودانية عن طريق سودنة الوظائف، وإلغاء الضرائب منذ العام 1883 التي لم يتمكن أصحابها من تأديتها، والاستمرار في إلغائها حتى عام 1886، وتعيين المهدي

1 F.O. 407. No. 53. Sir E. Baring to Earl Granville. Received January 8. Telegraphic. No. 21. Cairo. January 8. 1884. Further Correspondence Respecting the Affaies of Egypt. January to March 1884. P: 30

2 F.O. 407 . No. 4. Sir E. Baring to Earl Granville. Received January 1. Telegraphic. No. 6. Cairo. January 1. 1884. Further Correspondence Respecting the Affaies of Egypt. January to March 1884. P: 2.

3 F.O. 407. No. 135. Earl Granville to General Gordon. Telegraphic. No. 1. Foreign Office. January 18. 1884. Further Correspondence Respecting the Affaies of Egypt. January to March 1884. P: 70

[4] سلاطين.(2016)، السيف والنار في السودان. تر: محمد حسن. الخرطوم: السودان .دار عزة ص: 214.

[5] F.O. 407. No. 817. Earl Granville to Sir E. Baring. Telegraphic. No. 192. Foreign Office. March 28. 1884. Further Correspondence Respecting the Affaies of Egypt. January to March 1884. P: 422.

[6] F.O. 407. Inclosure 1 in No. 227. His Highness The Khedire to Gordon Pasha. January 26. 1884. Further Correspondence Respecting the Affaies of Egypt. January to March 1884. P: 121.

[7] F.O. 407. Inclosure 3 in No. 227. His Highness The Khedire to Gordon Pasha. January 26. 1884Further Correspondence Respecting the Affaies of Egypt. January to March 1884. P: 122.

[8] F.O. 407. Inclosure 1 in No. 227. His Highness The Khedire to Gordon Pasha. January 26. 1884. Further Correspondence Respecting the Affaies of Egypt. January to March 1884. P: 121

[9] F.O. 407. No. 817. Earl Granville to Sir E. Baring. Telegraphic. No. 192. Foreign Office. March 28. 1884. Further Correspondence Respecting the Affaies of Egypt. January to March 1884. P: 423.

[10] ونجت.(2009). المصدر السابق. ص 124.

حاكماً على كردفان[1]، وهو ما رفضه المهدي بشكل قاطع[2]، فلم يكن ليتخلى عن ثورته من أجل كردفان التي هي في الأصل في حوزته.

وصل غوردون بربر في 11 شباط1884[3]، واستأنف رحلته إلى الخرطوم فوصلها في 18 شباط[4]، ومن الخرطوم أعلن غوردون استقلال السودان عن مصر[5]، وأن حاكمها من الآن هو غورودن نفسه [6]، وأنه جاء للعمل على تأسيس حكومة وطنية يحكمها السودانيون أنفسهم، وهذا بدوره يتطلب إجلاء الجند والموظفين المصريين[7]، وفي سبيل ذلك أجرى غوردون مجموعة من الإصلاحات، بدأها بإقامة مجلس أعيان لحل النزاعات المحلية[8]، وانتخب أحد الشيوخ المحليين ليكون مديراً للخرطوم ولمجلس الأعيان في نفس الوقت[9]، وأحرق أدوات التعذيب وسجلات الضرائب، وأطلق سراح المدنيين ممن تجاوزوا مدة محكوميتهم[10]، وأطلق تجارة العبيد[11]، ليبدأ بعد ذلك بالاستعدادات لعملية الإخلاء بتجميع الجنود السود في الخرطوم، وتجميع الجنود المصريين في أم درمان بغرض ترحيلهم إلى مصر[12].

[1] شقير.(1981)، ص: 436.

2 لمعرفة المزيد ينظر: هولت.(1982). دولة المهدية في السودان عهد الخليفة عبد الله 1885. 1898. تر: هنري رياض. بيروت: لبنان. دار الجيل. ص 78. 86.

[3] F.O. 407. No. 312. Sir E. Baring to Earl Granville. Received February 11. Telegraphic. No. 111. Cairo. February 11. 1884. Further Correspondence Respecting the Affaies of Egypt. January to March 1884. P: 158.

[4] F.O. 407. No. 415. Sir E. Baring to Earl Granville. Received February 18. Telegraphic. No. 146. Cairo. February 18. 1884. Further Correspondence Respecting the Affaies of Egypt. January to March 1884. P: 191.

5 شقير.(1981)، ص: 437. 439.

6 ونجت.(2009)، ص 145.

[7] حمزة، ميمونة(1972). حصار وسقوط الخرطوم يناير 1884. 1885. الخرطوم. دار التأليف والنشر. ص: 70.

[8] F.O. 407. No. 443. Sir E. Baring to Earl Granville. Received February 19. Telegraphic. No. 146. Cairo. February 19. 1884. Further Correspondence Respecting the Affaies of Egypt. January to March 1884. P:201.

[9] حمزة. (1972)، ص: 70.

[10] F.O. 407. No. 443. Sir E. Baring to Earl Granville. Received February 19. Telegraphic. No. 146. Cairo. February 19. 1884. Further Correspondence Respecting the Affaies of Egypt. January to March 1884. P:201.

[11] F.O. 407. Inclosure 2 in No. 785. Proclamations issued by Major- General Gordon. February 13. 1884. Further Correspondence Respecting the Affaies of Egypt. January to March 1884. P: 394.

12 ونجت.(2009)، ص 145.

إلا أن المهدي كان أسرع منه، إذ وصلت جيوشه إلى مشارف الخرطوم وبدأ حصاره الشديد الذي استغرق عشرة أشهر، إذ بدأ منذ منتصف آذار 1884[1]، وانتهى في 26 كانون الثاني من العام التالي[2] بسقوط الخرطوم بيد المهدي، ومقتل غوردون على يد الأنصار الذين اقتحموا مخدعه وقطعوا رأسه[3]، لتكون خاتمة أعماله هي محاولة منع سقوط الخرطوم بيد المهديين.

أما عن سبب هزيمة غوردون فترجع إلى عدة عوامل وهي:

1. قلة عدد جنود حامية الخرطوم[4].
2. تأخر الإنكليز في إرسال حملة لإنقاذ غوردون حيث بدأت عملية الإنقاذ في أواخر أيلول 1884[5].
3. تأخر الحملة في مسيرها باتجاه الخرطوم بسبب الصعوبات التي واجهتها في نقل المؤن والعتاد[6]،حيث انطلقت من كورتي في 8 كانون الثاني 1885 باتجاه الخرطوم[7].
4. الانشقاقات التي حدثت في جيش غوردون، حيث فر الجنود إلى معسكر المهدي هرباً من الموت، لرجحان كفة المهدي في النصر[8].

في المرحلة الأخيرة من أعمال غوردون في السودان يبرز بوضوح شديد استهتار إنكلترا بشؤون السودان عموماً وبغوردون ومقترحاته وقدراته خصوصاً، مما يؤكد على بلوغها مآربها وأهدافها منذ العام 1877 إلا وهي التحكم بمياه البحر الأحمر.

[1] حمزة. (1972)، ص: 90.
[2] فوزي، إبراهيم(1901). السودان بين يدي غوردون وكتشنر. مصر. طبع على نفقة مؤلفه وإدارة جريدة المؤيد. الجزء الأول. ص: 398.
[3] سلاطين.(2016)، ص: 253.
[4] شقير.(1981)، ص: 478.
[5] كرومر(2006). مصر الحديثة. تر: صبري حسن. مصر. المركز القومي للترجمة. الجزء الأول. ص: 694.
[6] كرومر.(2006)، الجزء الثاني. ص: 23.
[7] كرومر.(2006)، الفصل الثاني. ص: 24.
[8] ونجت.(2009)، ص: 193، 194.

نتائج البحث

1. كان غوردون ذا نزعة وطنية شديدة وصلت إلى درجة التعصب الشديد لإنكلترا، ولم يكن صاحب مبادئ إنسانية تجاه السودان وقضاياه.
2. لم يكن غوردون بطلاً في يوم من الأيام، فهو لم يستلم مهام كبيرة، كما أن تمرد تايبينغ الذي قاتل ضده كان في عام 1860 يعيش سنواته الأخيرة، لذلك يمكن القول أن تمرد تايبينغ قبيل تدخل غوردون كان قد تهاوى صرحه بفعل الضربات العديدة التي تلقاها، إلى أن سقط نهائياً على يد غوردون.
3. يستدل من ممارسات غوردون في السودان أنه كان يتصرف وفق نظرية العرق الآري، ونظرة الآريين الدونية للعرب والزنوج.
4. كان غوردون يحكم السودان دون أن يشعر بأدنى درجات المسؤولية، فهو قد ساهم في تأجيج غضب سليمان بن الزبير، مما دفعه للثورة عليه، وكذلك لم ينجح في القضاء على تجارة الرقيق ولا الحد منها، حتى أنه أباحها علناً في أثناء التخطيط لعملية الإخلاء، مما يفسر فشله في مكافحتها بأنه لم يكن مخلصاً لتلك القضية، وأنه فقط كان ينفذ مراسيم الخديوي فإنكلترا وضعت غوردون في خدمة الخديوي ظاهرياً ليس إلا.
5. لم تهتم إنكلترا لمقترحات غوردون ولا لحياته مما يعني تبرأها الكامل مما كان يجري في السودان، وأنها بلغت الأهداف التي كانت تسعى إليها، فليحدث ما سيحدث.

ويتضح من خلال هذا الاستعراض المفصل أن غوردون كان ناجحاً في المهام الصغيرة التي أسندت إليه في مطلع حياته المهنية، فصعد نجمه كرجل سياسي وعسكري فذ، إلا أنه أثبت عدم كفائته عند توليه أول مهمة كبيرة ألا وهي حكمدارية السودان.

ومن ناحية أخرى لم يسهم غوردون في أي عمل يصب في مصلحة الشعب السوداني، ولا حتى في مصلحة الحكومة المصرية، بل كان يتوجه أينما تقوده مصلحة بلاده وهذا ليس بغريب عن شخصية إنكليزية، أما عن سمعته كبطل قومي ضحى بحياته من

أجل الشعوب المظلومة، فقد اعتاد الإنكليز على تقديس قادتهم بعد الوفاة، خاصة إذا جاءت وفاتهم نتيجة استهتار حكومتهم، وذلك للتغطية على دورهم في مقتله.

أ . الوثائق وزارة الخارجية الإنكليزية:

1- F.O. 407. No. 383. Sir E. Baring to Earl Granville. Received December 13. Telegraphic. No. 577. Cairo. December 3. 1883. Further Correspondence Respecting the Affaies of Egypt. June to December 1883.

2- F.O. 407 . No. 4. Sir E. Baring to Earl Granville. Received January 1. Telegraphic. No. 6. Cairo. January 1. 1884. Further Correspondence Respecting the Affaies of Egypt. January to March 1884.

1- F.O. 407. No. 53. Sir E. Baring to Earl Granville. Received January 8. Telegraphic. No. 21. Cairo. January 8. 1884. Further Correspondence Respecting the Affaies of Egypt. January to March 1884.

4 -F.O. 407. No. 115. Sir E. Baring to Earl Granville. Cairo. February 5. 1884. Further Correspondence Respecting the Affaies of Egypt. January to March 1884.

5- F.O. 407. No. 135. Earl Granville to General Gordon. Telegraphic. No. 1. Foreign Office. January 18. 1884. Further Correspondence Respecting the Affaies of Egypt. January to March 1884.

6- F.O. 407. Inclosure 1 in No. 227. His Highness The Khedire to Gordon Pasha. January 26. 1884. Further Correspondence Respecting the Affaies of Egypt. January to March 1884.

7- F.O. 407. No. 312. Sir E. Baring to Earl Granville. Received February 11. Telegraphic. No. 111. Cairo. February 11. 1884. Further Correspondence Respecting the Affaies of Egypt. January to March 1884.

8- F.O. 407. No. 415. Sir E. Baring to Earl Granville. Received February 18. Telegraphic. No. 146. Cairo. February 18. 1884. Further Correspondence Respecting the Affaies of Egypt. January to March 1884.

9- F.O. 407. No. 443. Sir E. Baring to Earl Granville. Received February 19. Telegraphic. No. 146. Cairo. February 19. 1884. Further Correspondence Respecting the Affaies of Egypt. January to March 1884.

10- F.O. 407. No. 455. Sir E. Baring to Earl Granville. Received February 20. Telegraphic. No. 173. Cairo. February 12. 1884. Further Correspondence Respecting the Affaies of Egypt. January to March 1884.

11- F.O. 407. No. 817. Earl Granville to Sir E. Baring. Telegraphic. No. 192. Foreign Office. March 28. 1884. Further Correspondence Respecting the Affaies of Egypt. January to March 1884.

12- F.O. 407. Inclosure 2 in No. 785. Proclamations issued by Major- General Gordon. February 13. 1884. Further Correspondence Respecting the Affaies of Egypt. January to March 1884.

ب . الوثائق العربية:

1. أحمد، يوسف (1935). الإسلام في الحبشة وثائق صحيحة قيمة عن أحوال المسلمين في مملكة أثيوبيا من شروق الإسلام إلى هذه الأيام. القاهرة: مصر. مطبعة حجازي. ص: 111.

ج . المصادر الإنكليزية:

1 .Butler. W(1889). Charles Gorge Gordon. London. MacmillanAnd CO. P: 255.

د –المصادر المعربة:

1. سلاطين.(2016)، السيف والنار في السودان. تر: محمد حسن. الخرطوم: السودان .دار عزة. 469.

2. كرومر(2006). مصر الحديثة. تر: صبري حسن. مصر. المركز القومي للترجمة. الجزء الأول. ص: 713.

3. هولت.(1982). دولة المهدية في السودان عهد الخليفة عبد الله 1885- 1898. تر: هنري رياض. بيروت: لبنان. دار الجيل. ص: 189

4. ونجت(2009). المهدية والسودان المصري. تر: محمد المصطفى حسن. ط1.الخرطوم: السودان. دار عزة. ص: 577.

هذا البحث ممول من جامعة دمشق وفق رقم التمويل (501100020595).

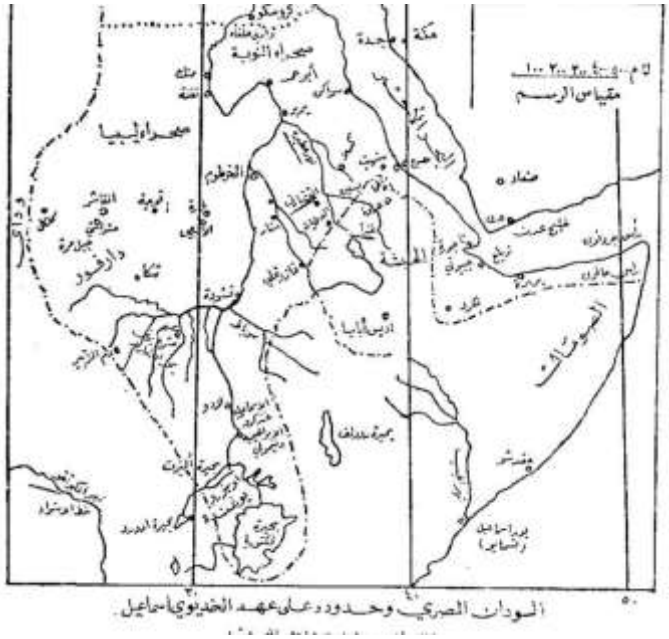

حميدة.(1969)، ص: 121.

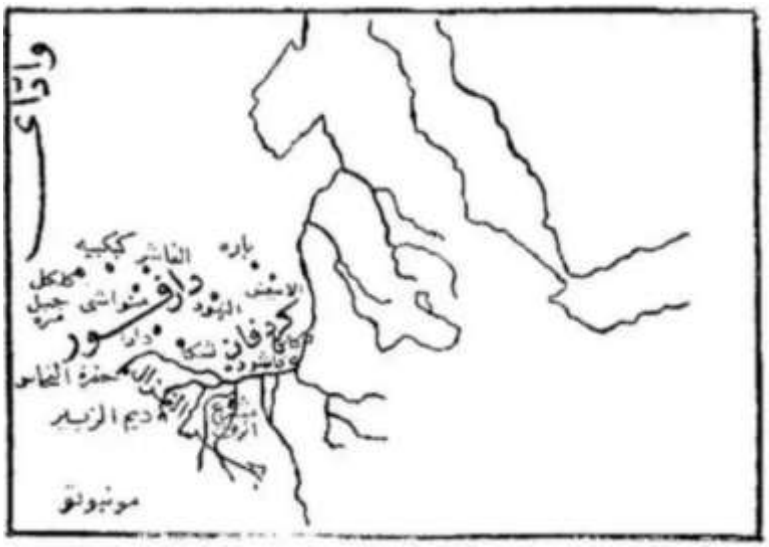

مديرية بحر الغزال/ الزبير(1953)، ص: 23

المراجع والمصادر العربية:

1. الرافعي. عبد الرحمن(1987). عصر إسماعيل. مصر. دار المعارف. جزء الأول. ص: 307.

2. سرهنك، اسماعيل(1896). حقائق الأخبار عن دول البحار. مصر. المطبعة الميرية. الجزء الثاني.

3. شكري، محمد فؤاد.(1947). الحكم المصري في السودان 1820. 1885. مصر. دار الفكر العربي. ص: 432.

4. شكري، محمد فؤاد(2011). مصر والسودان تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر. القاهرة: مصر. مطبعة دار الكتب والوثائق القومية. ص: 571.

5. شقير، نعوم(1903). تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته. مصر. مطبعة المعارف. المجلد الثاني. ص: 148.

6. شقير، نعوم(1903). تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته. مصر. مطبعة المعارف. المجلد الثالث. ص: 736.

7. شقير، نعوم.(1981). تاريخ السودان. تحقيق: محمد إبراهيم أبو سليم. بيروت: لبنان. دار الجيل. ص: 1024.

8. طوسون، عمر(1937). تاريخ مديرية خط الإستواء من فتحها إلى ضياعها من سنة 1869 إلى 1889. الإسكندرية. مصر. مطبعة العدل. الجزء الأول. ص: 535.

9. فوزي، إبراهيم(1901). السودان بين يدي غوردون وكتشنر. مصر. طبع على نفقة مؤلفه وإدارة جريدة المؤيد. الجزء الأول. ص: 403.

10. الكردفاني، اسماعيل(1991). الطراز المنقوش ببشرى قتل يوحنا ملك الحبوش. تحقيق: محمد إبراهيم أبو سليم وسعيد القدال. ط1. بيروت: لبنان. دار الجيل. ص: 144.

المراجع المعربة:

2. سمرنوف، سيرجي(1994). دولة المهدية من وجهة نظر مؤرخ سوفييتي ترجمة: هنري رياض. بيروت . لبنان. دار الجيل. ص: 214.

المراجع العربية:

1ـ الإسكندري، حسن، عمر، سليم (2017). تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر. مصر. مؤسسة هنداوي. ص: 316.

2ـ إسماعيل، عز الدين(1998).الزبير باشا ودوره في السودان في عصر الحكم المصري. مصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص: 339.

3. الأيوبي، إلياس (2012). تاريخ مصر في عهد الخديوي اسماعيل باشا. القاهرة: مصر. مؤسسة هنداوي. ص: 854.

4ـ حسين، عبدالله (2012). السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية. القاهرة: مصر. مؤسسة هنداوي. الجزء الأول. ص: 352.

5. حمزة، ميمونة (1972). حصار وسقوط الخرطوم يناير 1884. 1885. الخرطوم. دار التأليف والنشر. ص: 222.

6. حميدة، بشير (1969). صفحات من التركية والمهدية. الخرطوم: السودان. دار الإرشاد. ص: 302.

7ـ خلاف. عبد العليم (1999) . كشوف مصر الإفريقية في عهد الخديوي إسماعيل 1863ـ 1879. مصر. الهيئة العامة للكتاب. ص: 242.

8ـ الزبير، سعد الدين (1953). إمبراطورية رابح الزبير مذابح الاستعمار الفرنسي في السودان. مصر. مطابع الفؤاد. ص: 188.

9. سبي، عثمان (2002). دراسة علمية علاقة السودان بأثيوبيا عبر التاريخ. إيرتيريا. جبهة التحرير الإرترية مكتب الإعلام. ص: 105.

10. شاكر، محمود (1981). السودان. دمشق.المكتب الإسلامي. ص: 135.

11. شبيكة، مكي (1991). السودان عبر قرون. بيروت . لبنان. دار الجيل. ص: 559.

12. ضرار، ضرار (1968). تاريخ السودان الحديث. بيروت: لبنان. مكتبة الحياة. ص: 310.

13. عابدين، عبد المجيد (د.ت). بين الحبشة والعرب. القاهرة: مصر. دار الفكر العربي. ص: 287.

14ـ عبد الجليل، الشاطر.(2009). معالم تاريخ السودان وادي النيل من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر الميلادي. مصر. مكتبة الشريف الأكاديمية. ص: 351.

15. العبيد، خليفة (1995). الزبير باشا يروي سيرته في منفاه بجبل طارق. السودان. مركز الدراسات السودانية. ص:156.

16. القدال، سعيد (2002). تاريخ السودان الحديث. ط2. السودان. مركز عبدالكريم ميرغني. ص: 535.

17. مسعد، مصطفى.(2015). سلطنة دار فور تاريخها وبعض مظاهر حضارتها. الخرطوم: السودان. دار المصورات للنشر. ص: 48.

18ـ نقد، محمد إبراهيم (2003). علاقات الرق في المجتمع السودان النشأة السمات الاضمحلال. الخرطوم . السودان. دار عزة. ص: 444.

19ـ يسري، إبراهيم (2016). النيل وسد النهضة عبرالتاريخ والجغرافيا. مصر. المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية. ج: 2. ص: 3.

الرسائل الأجنبية:

1−Korzak. B(1973). Charles Gorge Gordon Evolution Of A British Hero. Greensboro. A Thesis Submitted to The Faculty of the Graduate School at The University of North Carolina at Greensboro in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree Master of Arts. P: 163.

الرسائل العربية:

1. سوار، جعفر(1998). الزبير باشا رحمت وعلاقته بالقوى المجاورة في الفترة من 1246. 1331هـ/ 1831. 1913م. أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي. كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. جامعة أم القرى. السعودية. ص: 320.

2- لعقانقة، عياش، حدة، حسينة(2017- 2018). تجارة الرقيق عبر الأطلسي وتأثيرها السياسي والاقتصادي مابين القرنين 15 - 19م. مذكرة درجة الماجستير. قسم التاريخ. كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية. جامعة جيلالي بونعامة. خميس مليانة: الجزائر. ص: 91.

3- مهيدات، جوهر.(2006). السياسة البريطانية وأثرها في تكوين مشكلة جنوب السودان 1899- 1956. مذكرة لنيل درجة الدكتوراه. قسم التاريخ. كلية الآداب. جامعة اليرموك. الأردن. ص: 244.

مقالات:

1. أبو زيد، أحمد(2022): جودة الحكم في النظم غير الديمقراطية النظام الصيني نموذجاً. قسم العلوم السياسية والإدارة العامة. كلية التجارة. جامعة أسيوط. مصر. ص: 201- 240.

زناتي، عامر(2020). حملة محمد علي باشا على السودان 1821. مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية. الجفلة: الجزائر. جامعة زيان عاشور. مج: 12. ع: 1. ص: 370- 378.

المحاضرات:

1. خليفة، علي(2021- 2022). الاحتلال البريطاني لمصر والسودان والإيطالي لليبيا. محاضرة ألقيت في كلية التربية للعلوم الإنسانية. قسم الجغرافيا. مادة تاريخ الوطن العربي الحديث.

المراجع الإلكترونية:

1. مسعد، بولس(د.ت). الحبشة وأثيوبيا في منقلب من تاريخها

www. Noor- book.com. P: 240